علماء وأعلام

الشيخ حسنعلي النخودكي الأصفهاني رحمه الله

■ مولده ونسبه

حسنعلي بن علي أكبر المقدادي الأصفهاني، وُلد في مدينة أصفهان سنة ١٢٧٩هـ. وقد اشتهر بـ"النخودكي" في أواخر عمره نسبةً إلى إقامته في نخودك، إحدى قرى مشهد المقدسة.

■ دراسته وأساتذته

بدأ حسنعلي الأصفهاني طلب العلم والسلوك المعنوي وتهذيب الأخلاق منذ طفولته المبكرة تحت إشراف والده والحاج محمد صادق تخت پولادي. وفي مسقط رأسه أصفهان، درس المقدمات والأدب العربي والفقه وأصوله والمنطق والفلسفة على كبار علماء عصره. ثم سافر إلى النجف الأشرف سنة ١٣٠٤هـ لمواصلة دراساته العليا في الفقه والأصول والعرفان على أيدي أبرز الأساتذة هناك.

عاد من النجف إلى إيران سنة ١٣١١هـ، وأقام في مشهد المقدسة أربع سنوات. ثم عاد إلى أصفهان سنة ١٣١٥هـ، ومنها إلى النجف مجدداً وبقي هناك حتى سنة ١٣١٨هـ. وفي سنة ١٣١٩هـ سافر إلى أصفهان ثم إلى شيراز، حيث تعلّم الطب ومارس العلاج.

■ من أساتذته

- محمد صادق تخت پولادي الخاتون آبادي؛ جهانگير خان القشقائي؛ السيد مرتضى الكشميري؛ السيد محمد الطباطبائي الفشاركي؛ الميرزا حبيب الله الرشتي؛ السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي؛ محمد حسن الامقاني؛ والآخوند ملا محمد الكاشي.

■ بعض تلاميذه الذين أذن لهم برواية الحديث

علي المقدادي الأصفهاني (ولده)؛ عبد النبي الخراساني؛ ذبيح الله الأمير الشهيدي؛ محمد حسين الخراساني؛ والسيد شهاب الدين المرعشي النجفي

■ مؤلفاته وآثاره:

تعليقة على كتاب "تذكرة المتقين"؛ رسائل إلى بعض مريديه؛ تقريرات بعض مجالسه ورسائل في المواضيع العرفانية والأخلاقية؛ تصحيح "إرشاد البيان" و"أسرار نامه" للعطار النيسابوري؛ وترجمة وتصحيح "كتاب الصلاة" للفيض الكاشاني.

■ وفاته:

توفي رحمه الله ليلة السابع عشر من شعبان سنة ١٣٦١هـ (الموافق ١٣٢١ش) ودفن في حرم الإمام الرضا عليه السلام بالصحن العتيق بجوار إيوان العباس.

المصدر: دانشنامه اسلامی

■ مقالة

دحو الأرض

في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

■ علي فاضل الخزاعي

⚠ الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

الحمد لله الذي لا تدركه المشاعر والآراء، ولا تحتويه الجهات والأرجاء، ولا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء، وأفصح من نطق بالضاد من العرب العربَاء، وآله معادن الحكمة وفصل القضاء، ما أشرق الصبح وأضاء.

أما بعد..

فمن النعم الإلهية التي وهبها رب العزة للمخلوقات هي نعمة (دحو الأرض) حيث يقول أغلب المفسرين والعلماء بالاعتماد على الروايات الواردة عن أهل بيت النبي (صلوات الله وسلامه عليهم) إلى أن خلق الأرض حصل قبل خلق السماء، والآية التي تصف دحو الأرض في قوله تعالى: (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا* أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا)، حيث وصف الله تعالى كيفية خلق الأرض بعد وصف كيفية خلق السماء، وذكر صفاتا ثلاثا : هي دحو الأرض، أي بسطها وتمهيدها الذي حصل قبل خلق السماء، وإخراج الماء والمرعى من الأرض، والمرعى : يشمل جميع ما يأكله الناس والأنعام ، وإرساء الجبال وتثبيتها في أماكنها، مع أن آية النازعات تدل على أن دحو الأرض بعد خلق السماء، لأنه قال فيها (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها)، ثم قال: (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا)، وفي هذه الآية التصريح بأن جميع ما في الأرض مخلوق قبل خلق السماء لأنه قال فيها: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء)، فأصل خلق الأرض قبل خلق السماء، ودحوها بجبالها وأشجارها ونحو ذلك، بعد خلق السماء.

والوقت الذي حدث فيه دحو الأرض هو في يوم الخامس والعشرين من ذي القعدة من تحت الكعبة، وفي هذا اليوم أيضا ولد إبراهيم وعيسى على قول، وفيه استقرار السفينة على الجودي، وفيه خروج الرّضا عليه السلام من المدينة إلى مرو، وفيه بناء آدم الكعبة، وفيه ولد محمّد ابن أبي بكر وأمّه أسماء بنت عميس.

وجاء في كتاب مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمّي، أنّ لهذا اليوم سوى الصّيام والعبادة وذكر الله تعالى والغُسل أعمالاً منها: الصلاةُ المرويّة، وهي ركعتان تُصلّى عند وقت الضحى بالحمد مرّة والشّمس خمس مرّات في كلّ ركعة، ويقول بعد التّسليم: (لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلّا باللهِ العَلِيِّ العَظيمِ) ثمّ يدعو بهذا الدعاء: (يا مُقيلَ العَثَراتِ أَقِلْني عَثْرَتي، يـا مُـجيبَ الدَّعَواتِ أَجِـبْ دَعْـوَتي، يا سامِعَ الْأَصْواتِ اِسْمَعْ صَوْتي وَارْحَمْني وَتَجاوَزْ عَنْ سَيِّئاتي وَما عِنْدي يا ذَا الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ).

وما جاء في فضل هذا اليوم عن الحسن بن راشد، قال: (كنت مع أبي وأنا غلام فتعشينا عند الرضا عليه السلام ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة فقال له ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة ولد فيها ابراهيم عليه السلام وولد فيها عيسى بن مريم عليه السلام وفيها دحيت الارض من تحت الكعبة فمن صام ذلك اليوم كان كمن صام ستين شهرا.

وقال الإمام علي عليه السلام: «إنّ أوّل رحمة نزلت من السماء إلى الأرض في خمس وعشرين من ذي القعدة، فمن صام ذلك اليوم، وقام تلك الليلة، فله عبادة مائة سنة صام نهارها وقام ليلها، وأيّما جماعة اجتمعت ذلك اليوم في ذكر ربّهم عزّ وجلّ، لم يتفرّقوا حتّى يُعطوا سؤلهم، وينزل في ذلك اليوم ألف ألف رحمة، يضع منها تسعة وتسعين في حلق الذاكرين والصائمين في ذلك اليوم، والقائمين في تلك الليلة».

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «لما أراد الله تعالى أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربن متن الماء حتى صار موجا ثم أزبد فصار زبدا واحدا فجمعه في موضع البيت ثم جعله جبلا من زبد ثم دحا الأرض من تحته وهو قول الله عز وجل «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً»، فأول بقعة خلقت من الأرض الكعبة ثم مدت الأرض منها).

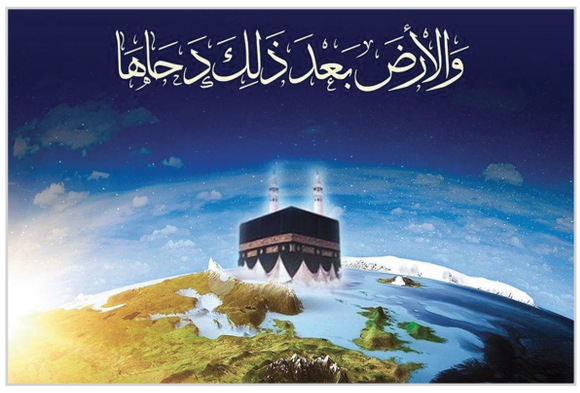

ومن خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في بدء الخليقة، وفيها يذكر النبي الأعظم والأئمّة الطّاهرين عليهم السلام قال: (إِنَّ اللهَ تَعالى حِينَ شاء تَقْديرَ الْخَليقَةِ، وَذَرْأَ الْبَرِيَّةِ، وَإِبْداعَ الْمُبْدَعاتِ، نَصَبَ الْخَلْقَ في صُوَرٍ كالهباء قَبْلَ دَحْوِ الْأَرْضِ وَرَفْعِ السماء وَهُوَ في انْفِرادِ مَلَكُوتِهِ، وَتَوَحُّدِ جَبَرُوتِهِ، فأتاح نُوراً مِنْ نُورِهِ فَلَمَعَ، وَنَزَعَ قَبَساً مِنْ ضيائه فَسَطَعَ، فَقالَ لَهُ عَزَّ مِنْ قائل: أَنْتَ الْمُخْتارُ الْمُنْتَخَبُ).

يبين أمير المؤمنين عليه السلام البداية التكونية لبدء الخليقة، حيث أن الله عز وجل حين شاء تكوين الخلق والخليقة وتكثيرهم أوجد لهم البرية وهي الأرض وأوجد الخلق بعد أن كانوا هباء وهو: الغبار أي دقائق تراب ساطعة ومنشورة في الجو أو الأرض حيث (لما أراد الله أن ينشئ المخلوقات ويبدع الموجودات أقام الخلائق في صورة واحدة قبل خلق الأرض ورفع السماوات).

ووردت خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام تبين صفة خلق الأرض ودحوها على الماء حيث يقول عليه السلام: «كَبَسَ الأَرْضَ عَلى مَوْرِ أَمْواجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ، وَلُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ، تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْواجِهَا، وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِها، وَتَرْغُو زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا، فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلاَطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا، وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا، وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً، إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا، فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ، سَاجِياً، مَقْهُوراً، وَفِي حَكَمَةِ الذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً، وَسَكَنَتِ الأَرْضُ مَدْحُوَّةً، فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَاعْتِلاَئِهِ، وَشُمُوخِ أَنْفِهِ وَسُمُوِّ غُلَوَائِهِ، وَكَعَمَتْهُ عَلَى كِظَّةِ جَرَيَتِهِ، فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ، وَبَعْدَ زَيَفَانِ وَثَبَاتِهِ».

فكبس الأرض على الماء أي أوقفها عليه وحبسها به، وقيل إدخال الأرض في الماء، وقيل كبس النهر والبئر يكبسهما طمهما بالتراب، ورأسه في ثوبه أخفاه وأدخله فيه، ولو تمعنا النظر في هذه الخطبة أعلاه لرأينا الصورة الدقيقة والبديعة في عملية دحو الأرض على الماء وركوزها أمام تلاطم أمواج المياه الهائجة التي يصعب التغلب عليها وكيف اصطفقت هذه الأشجار في الأرض وركوزها أمام هذه الأمواج والرياح العاتية وإن دل على شيء إنما يدل على العظمة الإلهية في الصنع والتكوين ليبين لنا عز وجل عظيم قدرته وكيفية خلقه لهذ الكون العجيب الذي يذهل العقول فسبحان رب العزة.

المصدر: مؤسسة علوم نهج البلاغة

اقتباسات

هل يتعارض إنتاج كائن حي في المختبر من قبل البشر مع الخالقية الإلهية؟

إجابة الأستاذ مطهري على هذا السؤال قبل ٥٠ عاماً

■ يُطرح في عصرنا هذا التساؤل التالي: هل سيكون البشر قادرين على صنع كائن حي؟ هل سيتمكنون، على سبيل المثال، من صنع نطفة بشرية اصطناعية تتحول إلى إنسان كامل بعد وضعها في الرحم أو في أي بيئة أخرى مناسبة؟ وقد قلنا إن هناك فئة من الإلهيين (المؤمنين بالله)، الذين ينصبّ تفكيرهم فيما يخص ارتباط الحياة بإرادة الله على الحالات الاستثنائية وبداية ظهور الحياة، ينكرون هذا الأمر بشدة.

ولكن بناءً على التعاليم التي نستقيها من القرآن الكريم، يجب القول إنه لا مانع من ذلك. تحتاج هذه المسألة إلى توضيح ويجب النظر إليها من جانبين:

الجانب الأول: ما هو مدى تعقيد بنية الكائن الحي؟ وهل سيتمكن البشر يوماً ما من إدراك جميع الرموز والأسرار المستخدمة في التركيب المادي لأجزاء الخلية الحية، واكتشاف القانون الطبيعي لنشوء الخلية الحية، أم أنهم لن يتمكنوا أبداً ولن يدركوا سر هذا القانون على الإطلاق؟ من هذا المنطلق، لا يمكننا إبداء الرأي بأي شكل من الأشكال لأن ذلك خارج عن نطاق اختصاصنا. إن القدر الذي قاله ويقوله أهل الاختصاص هو: "إن الشيء الذي يفوق في أهميته وعظمته خلق الأرض والكواكب والمجموعات الشمسية وجميع الكائنات، هو مادة «البروتوبلازم»".

الجانب الآخر: لو نجح البشر يوماً ما في اكتشاف قانون خلق الكائنات الحية - كما اكتشفوا العديد من قوانين الكائنات الأخرى - وتمكنوا من توفير جميع الشروط والأجزاء المادية لتركيب الكائن الحي، وصنعوا مادة مطابقة تماماً للمادة الحية الطبيعية، فهل ستدب الحياة في ذلك الكائن الاصطناعي أم لا؟ الجواب على هذا السؤال هو: نعم، ستدب فيه الحياة قطعاً؛ لأنه من المستحيل أن تتوفر شروط وجود إفاضة بشكل كامل ولا تتحقق تلك الإفاضة. أليس الذات الأحدية هو الصمد والكامل المطلق والفيّاض على الإطلاق؟ أليس واجب الوجود بالذات هو واجب من جميع الجهات والحيثيات؟

وهنا قد تتبادر هذه الشبهة إلى الأذهان مجدداً: إذن ماذا عن القول بأن الحياة بيد الله وحده، وأن غير الله خارج عن نطاق عمليتي الإحياء والإماتة؟ وقد قلنا سابقاً إن القرآن الكريم نفسه قد أقر بهذا الأمر. الجواب على ذلك واضح بعد تذكر ما سبق طرحه. إذا حقق البشر مثل هذا النجاح يوماً ما، فإن أقصى ما فعلوه هو أنهم تمكنوا من تهيئة شروط الحياة، لا أنهم خلقوا الحياة. إن البشر لا يمنحون الحياة، بل يكملون قابلية المادة لإفاضة الحياة عليها، وبالمصطلح الفلسفي، البشر هم "فاعل الحركة" وليسوا "مفيض الوجود".

إذا حقق البشر يوماً ما هذا النجاح، فسيكونون قد قاموا بعمل مهم من حيث الاكتشاف العلمي، ولكن من حيث التدخل في إيجاد الحياة، فإن تدخلهم سيكون بنفس مقدار تدخل الأب والأم عبر التناسل في إيجاد حياة الطفل، أو تدخل المزارع في إيجاد حياة حبات القمح. في أي من هذه الحالات، ليس الإنسان هو خالق الحياة، بل هو مُهيئ شروط قابلية مادة ما لاستقبال الحياة. وقد بيّن القرآن الكريم هذا الأمر بأفضل وجه في سورة الواقعة المباركة: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} (الواقعة، ٦٣-٦٤).

{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ} (الواقعة، ٥٨-٥٩).

المصدر: الأستاذ مطهري، المقالات الفلسفية، ص ٤٢

مصطلح الأسبوع

التطيُّر

يُقصد بـ«التطيّر» التشاؤمُ وربطُ الأحداث والأشخاص أو الظواهر بعلامات يُظنّ أنها تجلب السوء أو تنذر بالمصائب. وقد عُرف هذا المفهوم منذ الجاهلية، حيث كان بعض العرب يستدلّون بحركة الطيور واتجاه طيرانها لاتخاذ قراراتهم؛ فكانوا يعدّون الطيران جهة اليمين فألًا حسنًا، بينما يرون في الاتجاه نحو اليسار نذير شؤم وتشاؤم.

وجاء الإسلام ليواجه هذه الثقافة القائمة على الوهم والخوف، فرفض التطيّر وعدّه من الممارسات المنافية للتوحيد الصحيح. وقد ورد عن النبي محمد ﷺ أنه اعتبر التطيّر نوعًا من الشرك والكفر؛ لأن فيه إسناد التأثير إلى غير الله تعالى، وربط المصير بأمور لا تملك نفعًا ولا ضرًا.

كما ذمّ القرآن الكريم هذا السلوك، واعتبره انعكاسًا للجهل وسوء الفهم. ففي قصة أصحاب القرية في سورة «يس»، اتُّهم رسل النبي عيسى عليه السلام بأنهم سبب الشؤم والبلاء. وكذلك نقل القرآن عن قوم فرعون أنهم كانوا إذا أصابتهم مصيبة تشاءموا من النبي موسى عليه السلام ومن معه، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾.

وفي مقابل التطيّر، قدّم الإسلام مجموعة من المعالجات التربوية والإيمانية، أبرزها:

- عدم الاعتناء بالتشاؤم: فقد أوصى النبي ﷺ بالمضيّ في العمل وعدم التوقف بسبب الأوهام.
- التوكل على الله: لأن المؤمن يرى أن الله وحده هو المؤثر الحقيقي في الكون، فلا يخضع للخرافات أو الإشارات الوهمية.
- الدعاء والاستعاذة بالله: وقد وردت أدعية مأثورة لطلب الحفظ من الوساوس والتشاؤم، منها: «اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك».

وهكذا، يدعو الإسلام الإنسان إلى التحرر من الخوف الوهمي، وبناء نظرته إلى الحياة على الثقة بالله، لا على التشاؤم والظنون.

قَبَسٌ مِن نور

حين تفضحك العبادة ويتساقط وهم الاستحقاق

■ أحمد باقر الطويل

قد لا تكون عبادتك طريقًا إلى الله، بل اللحظة التي تُفضَح فيها أمام نفسك.

في لحظة العبادة يبدو كل شيء بسيطًا: قيام، ركوع، دعاء، ذكر. لكن ما لا يُرى أخطر بكثير مما يُرى، لأن العبادة لا تمرّ كفعل خارجي عابر، بل تمرّ من خلال الإنسان نفسه، وتكشفه دون أن تستأذن. وهنا يبدأ السؤال: هل الإنسان هو الذي يؤدي العبادة، أم أن العبادة هي التي تعيد تشكيله أثناء أدائها؟

العبادة ليست حركة نحو الله فقط، بل حركة داخل الإنسان أيضًا، تُعيد ترتيب أعماقه بصمت، وقد لا يشعر بها لحظتها، لكنها تعمل في العمق دون توقف.

ولذلك، لا يمكن فهم العبادة كفعل بسيط، لأن أثرها يتجاوز الشكل إلى الداخل، حيث يُبنى شيء ويُهدم شيء ويُكشف شيء دون إعلان.

كما أن الوجود نفسه ليس طبقة واحدة، بل طبقات متداخلة من المعنى، لا تتكشف دفعة واحدة. ما يظهر منه ليس إلا سطحًا أوليًا، بينما الحقيقة تتكشف بقدر تغيّر الوعي لا تغيّر الأشياء. ومن يتعامل مع العالم على أنه ظاهر فقط، يبقى محجوبًا عن عمقه الحقيقي.

وهكذا تكون العبادة أيضًا: ليست ما تراه العين، بل ما يحدث في الداخل أثناءها وبعدها.

الأخطر ليس ترك العبادة، بل أن تمارسها دون أن تمسّك.

لأن العبادة ليست إضافة إلى الحياة، بل اختبار صامت لمدى قابلية الإنسان للتحول.

الصلاة التي لا تغيّر، لم تصل بعد إلى معناها، والصوم الذي لا يعيد تشكيل الداخل، لم يدخل بعد إلى حقيقته.

وقد ورد في المعنى عن أمير المؤمنين عليه السلام: "إنما هي قلوب تمرّ على الأعمال، لا الأعمال التي تمرّ على القلوب" (بحار الأنوار)، إشارة إلى أن الأصل ليس في الفعل وحده، بل في أثره الداخلي.

وفي لحظة أعمق، يتغير السؤال: ليس هل أدّيت العبادة كما ينبغي؟ بل ماذا فعلت بك العبادة بعد أن انتهيت منها؟

فالعبادة لا تُقاس بسلامة الأداء، بل بعمق التحول. وقد يظن الإنسان أنه ثابت، بينما هو يتغير دون أن يشعر، أو يظن أنه لم يتغير، بينما الداخل قد بدأ بالانقلاب.

وهنا تظهر المفارقة: بعض العبادات تنتهي بانتهائها، وأخرى تستمر في الإنسان بعد انتهائها، والفارق بينها ليس في الشكل، بل في مقدار ما غيّرته في الداخل.

وفي أعمق طبقات الفهم، تتحول العبادة من مجرد فعل إلى انجذاب داخلي، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: "هل الدين إلا الحب؟" (الكافي)، أي أن ما لا يبدأ بمحبة يبقى فعلًا خارجيًا، أما ما يدخل فيه الحب فيصبح حياة تُعاش لا طقسًا يُؤدى.

وفي النهاية، لا يعود السؤال: هل اقترب الإنسان من الله؟ بل: هل اكتشف نفسه أثناء هذا الاقتراب؟

فالعبادة ليست ما يقرّبك فقط، بل ما يكشفك لك أولًا.

وقد يكتشف الإنسان متأخرًا أن أخطر ما في عبادته، أنه لم يكن حاضرًا فيها كما كان يظن.